المطلب الخامس عشر

إثبات علو الذات والفوقية والنصوص الواردة في المعية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن شمولية منهج أهل السنة في الحديث عن الذات والصفات وسائر الغيبيات، وبينا أن منهج غلاة الصوفية وأغلب المتكلمين هو منهج اليهود الذين جعلوا القرآن عضين، فهم يقدمون آراءهم العقلية على كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، ثم ينظرون بعد ذلك في الأدلة، فما وافقهم أخذوه، وما خالفهم عطلوه وتركوه.

وعلمنا أنه لما زعم بعض الصوفية أن العبادة الحقة هي ما كانت دون طلب العوض، اقتطعوا النصوص لتصدق قولهم، وكذلك فعلت المعتزلة حين قالت في الصفات قولا يخالف قولهم في الذات، فظهرت بدعتهم في إثبات الأسماء ونفي الصفات، وعلى شاكلتهم الأشعرية حين قالت في بعض الصفات قولا يخالف قولهم في بقية الصفات.

وبينا أن كل ذلك سببه عدم الإيمان بما جاء في الوحي كله،

سواء في الأسماء والصفات، أو في الغيبيات، أو سائر الموضوعات الأخرى، وقد بينا أن أسلم الضوابط الشمولية التي وضعت لتوضيح اعتقاد السلف هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله ﷻ الحديث عن تطبيق منهج السلف الصالح في فهم مسألة علو الذات والفوقية، والجمع بينها وبين نصوص المعية، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **دلالة النصوص على إثبات العرش والاستواء.**

١- قول الله تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ طه١/٥.

٢- قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف:٥٤.

٣- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ يونس:٣.

٤- قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ السجدة: ٤/٥.

٥- قوله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الحديد: ٤.

٦- ومما ورد في السنة ما رواه البخاري من حديث أبي هُرَيْرَة ﷺ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: (مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلى اللهِ أَنْ يُدْخِلهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيل اللهِ، أَوْ جَلسَ فِي أَرْضِهِ التِي وُلدَ فِيهَا. فَقَالوا: يَا رَسُول اللهِ، أَفَلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَال: إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ للمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيل اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذا سَأَلتُمُ اللهَ فَاسْأَلوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلى الجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ) (١) .

٧- ومما ورد في السنة أن الرسول ﷺ قال لسعد بن معاذ ﷺ في حكمه على بني قريظة: (لقَدْ حَكَمَ فِيهِمْ اليَوْمِ بِحُكْمِ اللهِ الذي حَكَمَ

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله ٣/١٠٢٨ (٢٦٣٧).

بِهِ مِنْ فَوْق سَبْع سَمَاوَات)[(١)].

وفي رواية: (لَقَدْ حَكَمْت فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ الذي حَكَمَ بِهِ مِنْ فَوْق سَبْعَة أَرْقِعَة)[(٢)].

• **دلالة النصوص النقلية على أن الله في السماء.**

١- ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ الملك:١٦.

٢- قوله سبحانه: ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ الملك:١٧.

٣- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣﴾ الأنعام:٣.

٤- ومما ورد في السنة ما رواه مسلم عن مُعَاوِيَة بْنِ الحَكَمِ السُّلمِيِّ أنه قال: (بَيْنَا أَنَا أُصَلي مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ، إِذ عَطَسَ رَجُل مِنْ القَوْمِ، فَقُلتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي القَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلتُ: وَاثكْل

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب القضاء، باب إذا نزل قوم على حكم رجل فحكم فيهم وفي ذراريهم ٣/٤٦٥ (٥٩٣٩)، وانظر تصحيح الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٦/٢٤٨.

(٢) انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ الألباني (١٤٥٣)، والسلسلة الصحيحة ٦/٢٤٨.

أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِليَّ؟ فَجعَلوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلى أَفْخَاذهِمْ، فَلمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي سَكَتُّ، فَلمَّا صَلى رَسُول اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلمًا قَبْلهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْليمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلا ضَرَبَنِي، وَلا شَتَمَنِي. قَال: إِنَّ هَذهِ الصَّلاةَ لا يَصْلحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ القُرْآن، أَوْ كَمَا قَال رَسُول اللهِ ﷺ .

قُلتُ: يَا رَسُول اللهِ، إِنِّي حَدِيث عَهْدٍ بِجَاهِليَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالإِسْلامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالا يَأْتُونَ الكُهَّانَ؟ قَال: فَلا تَأْتِهِمْ. قَال: وَمِنَّا رِجَال يَتَطَيَّرُونَ؟ قَال: ذاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلا يَصُدَّنَّهُمْ. قَال قُلتُ: وَمِنَّا رِجَال يَخُطُّونَ؟ قَال: كَانَ نَبِيٌّ مِنْ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذاكَ.

قَال: وَكَانَتْ لي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لي قِبَل أُحُدٍ وَالجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلعْتُ ذاتَ يَوْمٍ فَإِذا الذيبُ قَدْ ذهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُل مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُول اللهِ ﷺ، فَعَظَّمَ ذلكَ عَليَّ، قُلتُ: يَا رَسُول اللهِ، أَفَلا أُعْتِقُهَا؟ قَال: ائْتِنِي بِهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَال لهَا: أَيْنَ اللهُ؟ قَالتْ: فِي السَّمَاءِ. قَال: مَنْ أَنَا؟ قَالتْ: أَنْتَ رَسُول اللهِ. قَال: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ) [(١)].

---

(١) مسلم في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ١/٣٨١ (٥٣٧).

- النصوص الدالة على معية الله لخلقه .

١- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ المجادلة:٧.

٢- قوله ﷻ: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ النساء:١٠٨.

٣- قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ آل عمران:٥/٦.

٤- قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة:٤٠.

٥- قوله سبحانه: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ طه:٤٣/٤٦.

٦- قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ المائدة:١٢.

٧- قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ محمد:٣٥.

٨- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق:١٦.

٩- قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الواقعة:٨٣/٨٥.

١٠- قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة:١٨٦.

• اعتقاد الصحابة في الجمع بين النصوص.

١- روى البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ أنه قال: (جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُول: اتَّقِ اللهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ. قَال: أَنَسٌ، لوْ كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لكَتَمَ هَذِهِ. قَال: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُول: زَوَّجَكُنَّ أَهَاليكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ)[1].

وهي رضي الله عنها تقصد ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الأحزاب:٣٧.

---

(١) البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه علي الماء ٦/٢٦٩٩ (٦٩٨٤).

٢- روى البخاري من حديث أَنَس بن مَالكٍ ﷺ قال: نَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَأَطْعَمَ عليها يَوْمَئِذ خُبْزًا وَلحْمًا، وَكَانَتْ تَفْخَرُ على نِسَاءِ النبي ﷺ وَكَانَتْ تَقُول: (إنَّ اللهَ أَنْكَحَنِي في السَّمَاءِ) [(١)].

٣- وعند ابن ماجة من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (تَبَارَكَ الذي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لأَسْمَعُ كَلامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثعْلبَةَ، وَيَخْفَى عَليَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إلى رَسُول اللهِ ﷺ، وَهِيَ تَقُول: يَا رَسُول اللهِ، أَكَل شَبَابِي، وَنَثرْتُ لهُ بَطْنِي، حَتَّى إذا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلدِي، ظَاهَرَ مِنِّي، اللهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِليْك. فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَل جِبْرَائِيل بِهَؤُلاءِ الآيَاتِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ المجادلة: ١)[(٢)].

٤- وفي المسند عن ذكْوَان مولى عَائِشَةَ أنه اسْتَأْذنَ لاِبْنِ عَبَّاسٍ ﷺ على عَائِشَةَ رضي الله عنها وَهِيَ تَمُوتُ، وَعِنْدَهَا ابن أَخِيهَا عبد اللهِ بن عبد الرحمن ﷺ فقال: (هذا ابن عَبَّاسٍ، يَسْتَأْذنُ عَليْكِ وهو من خَيْرِ بَنِيكِ، فقالت: دعني مِن ابن عَبَّاسٍ وَمِنْ تَزْكِيَتِهِ، فقال لها عبد اللهِ بن عبد الرحمن: إنه قاري لكِتَابِ اللهِ، فَقِيهٌ فِي دِينِ اللهِ، فأذني له فَليُسَلمْ عَليْكِ وَليُوَدِّعْكِ، قالت: فأذن له إن شِئْتَ، قال:

---

(١) السابق ٦/٢٧٠٠ (٦٩٨٥).

(٢) رواه ابن ماجة في الطلاق، باب الظهار ١/٦٦٦ (٢٠٦٣) وصححه الشيخ الألباني انظر إرواء الغليل ٧/١٧٥.

فَأَذِنَ له، فَدَخَل ابن عَبَّاسٍ، ثمَّ سَلمَ وَجَلسَ، وقال: أبشري يا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، فَوَاللهِ ما بيْنَك وَبَيْنَ أن يَذهَبَ عَنْكِ كُل أَذى وَنَصَبٍ، أو قال: وَصَبٍ، وَتَلقَى الأَحِبَّةَ مُحَمَّداً وَحِزْبَهُ، أو قال: أَصْحَابَهُ إلا أن تُفَارِقَ رُوحُكِ جَسَدَكِ. فقالت: وَأَيْضاً، فقال ابن عَبَّاس: كُنْتِ أَحَبَّ أَزْوَاجِ رسول اللهِ ﷺ إليه، ولم يَكُنْ يُحِبُّ إلا طَيِّباً، وَأَنْزَلَ الله ﷻ بَرَاءَتَكِ من فَوْق سَبْعِ سماوات، فَلَيْسَ في الأَرْضِ مَسْجِدٌ إلا وهو يُتْلى فيه أناء الليْل وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَسَقَطَتْ قِلاَدَتُكِ بِالأَبْوَاءِ فَاحْتَبَسَ النبي ﷺ في المَنْزِل، وَالنَّاسُ معه في ابْتِغَائِهَا، أو قال: في طَلَبِهَا، حتى أَصْبَحَ القَوْمُ على غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ الله ﷻ، فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً.. الآيَةَ، فَكَانَ في ذلك رُخْصَةٌ للنَّاسِ عَامَّةً في سَبَبِكِ، فَوَاللهِ إنك لَمُبَارَكَةٌ، فقالت: دعني يا بن عَبَّاسٍ من هذا، فَوَاللهِ لوَدِدْتُ أني كنت نَسْياً مَنْسِيًّا) (١).

٥- روى البيهقي بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مر في ناس من أصحابه، فلقيته عجوز فاستوقفته، فوقف عليها، فوضع يديه على منكبيها، حتى قضت حاجتها، فلما فرغت قال رجل: حبست رجالات قريش على هذه العجوز، قال: ويحك تدري من هذه؟ هذه عجوز سمع الله ﷻ شكواها من فوق سبع سماوات. والله لو

---

(١) رواه أحمد في المسند مسند عبد الله بن عباس ١/٣٤٩ (٣٢٦٢) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي علي شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير ابن خثيم فمن رجال مسلم.

استوقفتني إلى الليل لوقفت عليها، إلا آتي الصلاة ثم أعود إليها حتى تقضي حاجتها [١].

٦- قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (ما بين السماء القصوى والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء كذلك، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم) [٢] .

• اعتقاد الأئمة الأربعة في الجمع بين النصوص.

١- رأي الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله (ت: ١٥٠هـ). قال نوح بن أبي مريم: كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر، إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما، فدخلت الكوفة، فقيل لها: إن ها هنا رجلا قد نظر في المعقول يقال له: أبو حنيفة، فَأْتِيهِ، فأتته، فقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك؟ أين إلهك الذي تعبده؟ فسكت عنها، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها، ثم خرج إلينا وقد وضع كتابا: إنّ اللّه سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ الحديد:٤. قال: هو كما تكتب للرجل: إني معك وأنت عنه غائب.

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، باب قول الله ﷻ: وهو القاهر فوق عباده ٣٢٢/٢ (٨٨٦) نشر مكتبة السوادي جدة.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٩٥/٣ نشر دار طيبة الرياض والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٩٢/٢ نشر مكتبة السوادي جدة. وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢٤٢/١ نشر مكتبة الرشيد الرياض.

قال البيهقي: لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيما نفي عن الله تعالى وتقدّس من الكون في الأرض، وفيما ذكر من تأويل الآية، وتبع مطلق السمع في قوله: إنّ الله ﷻ في السماء [(١)].

وقال أبو حنيفة أيضا في الفقه الأكبر: من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقد كفر، لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. وعرشه فوق سبع سماوات. قلت: فإن قال إنه على العرش، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يُدْعى من أعلى لا من أسفل. وفي لفظ سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أمَ في الأرض؟ قال: فقد كفر، لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. وعرشه فوق سبع سموات.قال: فإنه يقول: على العرش استوى، ولكنه لا يدري العرش في الأرض أو في السماء؟ قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر) [(٢)].

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، باب قول الله ﷻ لعيسى ﵇: إني متوفيك ورافعك إلي ٢/٣٣٨ (٩٠٥) نشر مكتبة السوادي جدة. وانظر العلو للعلي الغفار للذهبي ١/١٣٤. واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ذكر أقوال الأئمة الأربعة ١/٧٣ نشر دار الكتب العلمية.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٥/٤٧. واجتماع الجيوش الإسلامية ١/٧٤. والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٤/١٢٩٧ نشر دار العاصمة الرياض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة رحمه الله عند أصحابه أنه كَفَّرَ الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء ولا في الأرض؟ واحتج على كفره بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾. قال: وعرشه فوق سبع سموات، وبيّن بهذا أن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ بيّن في أن الله ﷻ فوق السموات، فوق العرش، وأن الاستواء على العرش، ثم أردف ذلك بكفر من توقّف في كَوْنِ العرش في السماء أو في الأرض. قال: لأنه أنكر أن يكون في السماء، وأن الله ﷻ في أعلى عليين، وأن الله ﷻ يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية، فإنّ القلوبَ مفطورةٌ على الإقرار بأنّ الله ﷻ في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل[١].

٢- رأي إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله (ت:١٧٩هـ) قال: إن الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان. وقيل لمالك: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. كيف استوى؟ فقال مالك رحمه الله تعالى: استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء[٢].

---

(١) المصدر السابق ٥/٤٨ بتصرف.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٧/١٣٨ نشر مؤسسة قرطبة وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ١/٧٥.

وقال مالك: (الله ﷻ في السماء، وعلمه في كل مكان وتلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)﴾ المجادلة:٧) [(١)].

٣- رأي الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله (ت:٢٠٤هـ) حيث قال: القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم، وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدا رسول الله، وأنّ الله تعالى على عرشه، في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء.

وقد سئل الإمام الشافعي عن صفات الله وما يؤمن به؟ فقال: لله تعالى أسماء وصفات، جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصحّ عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر. أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالرؤية

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤٠١/٣ نشر دار طيبة الرياض. وانظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ١٠٧/١، نشر دار ابن القيم الدمام. والشريعة للآجري ١٠٧٧/٣، نشر دار الوطن الرياض. وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٣/٥.

والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ويثبت هذه الصفات وينفي عنها التشبيه كما نفي التشبيه عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١.

وصح عن الإمام الشافعي أيضا أنه قال: خلافة أبي بكر الصديق ﷺ حَقٌّ قضاها اللهُ في سمائه، وجمع عليها قلوبَ عباده[١].

٤- رأي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ت:٢٤١هـ). قال أبو طالب سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال: إن الله معنا، وتلا: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ المجادلة:٧. قال: قد تجهم هذا، يأخذون بآخر الآية، ويدعون أولها، هلا قرأت عليه: ألم تر أن الله يعلم. فالعلم معهم، وقال في سورة ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ ق:١٦. فعلمه معهم[٢].

وقال المروزي: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: إن رجلا قال: أقول كما قال الله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ المجادلة:٧. أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره. فقال أبو عبد الله: هذا كلام الجهمية. قلت: فكيف نقول؟ قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨١/٤ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ٩٤/١. ومختصر العلو للعلي الغفار ص ١٧٦.

(٢) الإبانة لابن بطة العكبري ١٥٩/٣ نشر دار الراية الرياض. والعلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص١٧٦ نشر مكتبة أضواء السلف الرياض.

خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ المجادلة:٧. علمه في كل مكان، وعلمه معهم، ثم قال: أول الآية يدل على أنه علمه [(١)].

وقال أحمد بن حنبل: (هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا. وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مبتدع خارج من الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق..

إلى أن قال: وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أراضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمن ﷻ فوق الماء، والله ﷻ العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد، وآثارهم، وكلامهم، وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة، ودونه حجب من نور

---

(١) المصدر السابق ١٥٩/٣.

ونار وظلمة وما هو أعلم به.

فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ ق:١٦. وبقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد:٤. وبقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ المجادلة:٧. ونحو هذا من متشابه القرآن فقال: إنما يعني بذلك العلم، لأن الله تعالى على العرش فوق السماء السابعة العليا، ويعلم ذلك كله، وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان [١].

• اعتقاد علماء السلف وأتباعهم في الاستواء والمعية.

١- رأي مقاتل بن حيان رحمه الله توفي في نهاية النصف الأول من القرن الثاني الهجري حيث قال في قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ المجادلة:٧. قال: هو على العرش، ولا يخل شيء من علمه [٢].

٢- رأي عبد الله بن المبارك رحمه الله (ت:١٨١هـ)، قال علي

---

(١) انظر العقيدة للإمام أحمد بن حنبل رواية أبي بكر الخلال ص ٧٣، ص٧٨ نشر دار قتيبة دمشق وطبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى ١/٢٤، نشر دار المعرفة بيروت.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٤٠٠ (٦٧٠).

بن الحسن بن شقيق، شيخ البخاري: (قلت لعبد الله ابن المبارك: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه. وفي لفظ: على السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض. وقال أيضا: سألت ابن المبارك: كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا؟ قال: على السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض) [(١)].

٣- رأي أبي يوسف الأنصاري (ت:١٨٢هـ) صاحب أبي حنيفة رحمه الله. فقد جاء بشر بن الوليد إلى أبي يوسف فقال له: تنهاني عن الكلام وبشر المريسي وعليٌّ الأحْوَل وفلان يتكلمون، فقال: وما يقولون؟ قال: يقولون: إن الله في كل مكان. فبعث أبو يوسف فقال: عليَّ بهم، فانتهوا إليهم، وقد قام بشر، فجيء بعلي الأحول والشيخ، يعني الآخر، فنظر أبو يوسف إلى الشيخ وقال: لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك، فأمر به إلى الحبس، وضرب عليا الأحْوَل وطوَّف به [(٢)].

---

(١) خلق أفعال العباد للبخاري ص٣١ نشر دار المعارف الرياض. والرد على الجهمية للدارمي ٤٧/١ نشر دار الأثير الكويت. والإبانة لابن بطة العكبري ١٥٥/٣ (١٢٢) نشر دار الراية الرياض. والتمهيد لابن عبد البر ١٤٢/٧.

(٢) ذكر ابن تيمية هذه القصة في مجموع الفتاوى ٥٤/٥، وعزاها لابن أبي حاتم. وأوردها الإمام الذهبي في العلو للعلي الغفار ص١٥١. وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣٨.

٤- رأي حماد بن هنَّاد رحمه الله (ت: ٢٣٠هـ) حيث قال: (هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار، وما دلت عليه مذاهبهم فيه، وإيضاح مناهج العلماء وطرق الفقهاء، وصفة السنة وأهلها، أن الله فوق السماء السابعة على عرشه، بائن من خلقه، وعلمه وقدرته وسلطانه بكل مكان) [(١)].

٥- رأي أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله (ت: ٢٣١هـ)، قال إبراهيم الحربي: (سئل أحمد بن نصر عن علم الله؟ فقال: علم الله معنا وهو على عرشه) [(٢)].

٦- رأي الإمام إسحاق بن راهويه (ت:٢٣٨هـ)، قال حرب بن إسماعيل: (قلت لإسحاق بن راهويه في قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ المجادلة:٧ كيف تقول فيه؟ قال: حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه) [(٣)].

---

(١) انظر العلو للذهبي ص١٥١. واجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٤٢.

(٢) السابق ص١٢٨.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ٣/١٦١. وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٤٠. والعلو للعلي الغفار للذهبي ص١٧٧. وسير أعلام النبلاء للذهبي ١١/٣٧٠.

٧- رأي الحارث بن أسد المحاسبي (ت:٢٤٣هـ)، قال: (وأما قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ طه:٥. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ الأنعام:١٨. وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الملك:١٦. وقوله تعالى: ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾ الإسراء:٤٢. وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ فاطر:١٠. هذا يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها متنزه عن الدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الملك:١٦. يعني فوق العرش، والعرش على السماء، لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ التوبة:٢. يعني علي الأرض لا يريد الدخول في جوفها) [(١)].

٨- رأي يحي بن معاذ الرازي رحمه الله (ت:٢٥٨هـ) حيث قال: (الله تعالى على العرش، بائن من الخلق، قد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ولا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء، ضليل هالك مرتاب، يمزج الله بخلقه، ويخلط الذات بالأقذار والأنتان)[(٢)].

٩- رأي أبي زرعة الرازي (ت:٢٦٤هـ) رحمهما الله، قال عبد

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٦٩ واجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٧٢.

(٢) السابق ٥/٤٩، واجتماع الجيوش ص٢٧٠.

الرحمن بن أبي حاتم: (سألت أبا حاتم وأبا زرعة الرازيين رحمهما الله عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار، حجازا، وعراقا، ومصرا، وشاما، ويمنا، وكان من مذهبهم أن الله على عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علما) (١).

١٠- رأي الإمام ابن قتيبة رحمه الله (ت:٢٧٦هـ) في تأويل مختلف الحديث: (نحن نقول في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ المجادلة:٧. إنه معهم يعلم ما هم عليه، كما تقول للرجل وجّهته إلى بلد شاسع، احذر التقصير فإني معك، تريد أنه لا يخفى عليَّ تقصيرك، وكيف يسوغ لأحد أن يقول: إنه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. ومع قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ فاطر:١٠؟ كيف يصعد إليه شيء هو معه؟ وكيف تعرج الملائكة إليه وهي معه؟ ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم، وما ركبت عليه خِلقُهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله هو العلي، وهو الأعلى، وأن الأيدي ترتفع بالدعاء إليه، والأمم كلها عجميها وعربيها، تقول: إن الله في السماء ما تركت على فطرها) (٢).

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/١٧٧.

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٢٧١، نشر دار الجيل، بيروت. وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/٤٠٣. والعلو للعلي الغفار للذهبي ص١٩٦.

١١- رأي الإمام الدارمي عثمان بن سعيد بن خالد رحمه الله (ت: ٢٨٠هـ) في كتابه الرد على الجهمية، قال: (فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة، استوحش من ذكرها، وتستر آخر من زندقة صاحبه فقال: قال تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ المجادلة:٧. قلنا: هذه الآية لنا عليكم، لا لكم، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه، لأن علمه بهم محيط، وبصره فيهم نافذ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره، ولا يتوارون منه بشيء، وهو بكماله فوق العرش، بائن من خلقه، يعلم السر وأخفى، أقرب إلى أحدهم من فوق العرش، من حبل الوريد، قادر على أن يكون له ذلك، لأنه لا يبعد عن شيء، ولا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، فهو كذلك رابعهم، وخامسهم، وسادسهم، لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم، وكذلك فسرته العلماء) (١).

١٢- رأي الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة رحمه الله تعالى (ت:٢٩٧هـ) حيث قال: (ذكروا أن الجهمية يقولون: إن ليس بين الله ﷻ وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش، وأن يكون الله ﷻ فوقه، وقالوا: إنه في كل مكان.. ثم بين أن العلماء فسروا المعية بالعلم. وقال: توافرت الأخبار أن الله ﷻ خلق العرش، فاستوى عليه بذاته، فهو فوق

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص٤٢، نشر دار ابن الأثير، الكويت.

العرش بذاته، متخلصا من خلقه بائنا منهم) [١].

١٣- رأي أبي بكر الآجري رحمه الله (٣٦٠هـ) الذي كان معتزليا ثم تاب ورجع إلى معتقد أهل السنة، حيث قال في التحذير من مذهب الحلولية: (الذي يذهب إليه أهل العلم، أن الله ﷻ على عرشه، فوق سمواته، وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلى، وبجميع ما في سبع أراضين، يرفع إليه أعمال العباد. فإن قال قائل: إيش يكون معنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ المجادلة:٧. الآية التي احتجوا بها؟ قيل له: علمه، والله ﷻ على عرشه، وعلمه محيط بهم، كذا فسره أهل العلم، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم، وهو على عرشه، فهذا قول المسلمين) [٢].

١٤- رأي الإمام أبي عمر الطلمنكي (ت:٤٢٩هـ) حيث قال في كتابه الوصول إلى معرفة الأصول: (أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته. وقال أيضا: أجمع أهل السنة على أنه تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز... ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء، وعلمه في كل مكان. ثم قال: وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ

---

(١) العرش وما روي فيه لابن أبي شيبة ص ٤٩ نشر مكتبة المعلا، الكويت.
(٢) الشريعة للآجري ٣/١٠٧٥. العلو للعلي الغفار للذهبي ص٢٢٨.

﴿مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد:٤. ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء) [(١)].

١٥- رأي الإمام ابن عبد البر (ت:٤٦٣هـ) حيث قال رحمه الله تعالى: (وأما احتجاجهم بقوله ﷻ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ المجادلة:٧. الآية، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن، قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله) [(٢)].

- **اعتقاد أبي الحسن الأشعري في إثبات الاستواء والمعية.**

ذكر أبو الحسن الأشعري في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الاستواء وإبطال من قال بأنه استيلاء وقهر إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله ﷻ يستوي على عرشه استواء يليق به من غير طول استقرار، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. وقد قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ فاطر:١٠. وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ النساء:١٥٨. وقال تعالى:

---

(١) العلو للعلي الغفار للذهبي ص٢٤٦.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر٧/١٣٨ نشر مؤسسة قرطبة. وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/١٩٣. والعلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص٢٤٩. واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١١٤.

﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ﴾ السجدة:٥. وقال تعالى حاكيا عن فرعون لعنه الله: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ ﴾ غافر:٣٦/٣٧. كذب موسى عليه السلام في قوله: إن الله سبحانه فوق السماوات. وقال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ ﴾ الملك:١٦. فالسماوات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ من يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى الله تعالى ذكر السماوات فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا ﴾ نوح:١٦. ولم يرد أن القمر يملأهن جميعا، وأنه فيهن جميعا، ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل على العرش، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ ﴾ طه:٥. أنه استولى وملك وقهر وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان

هذا كما ذكروه، كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء، والأرض لله سبحانه قادر عليها، وعلى الحشوش ـ والحُشُوشُ مواضعُ الغائط ـ وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله ﷻ مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو تعالى مستو على الأشياء كلها، لكان مستويا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها. وإذا كان قادرا على الأشياء كلها، لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله تعالى مستو على الحشوش والأخلية، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ولم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها. وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله تعالى في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم، وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا [(١)].

• الرد على المتكلمين في تأويلهم لقول الجارية في السماء.

قال بعض المعاصرين المتمسكين بعقيدة الأشعرية في تأويلهم الباطل لحديث الجارية: (ويقولون في قول النبيﷺ للجارية: أين الله؟ فقالت: في السماء، هو مصروف عن ظاهره، وإنما اكتفى ﷺ منها بقولها في

(١) الابانة عن أصول الديانة ذكر الاستواء على العرش ص١٠٥ وما بعدها.

السماء، لأنه كان يكفي في صدر البعثة بالنسبة للعامة اعتقاد وجود الله تعالى ووحدانيته. فعامل الجارية بما ألفته، وأقرها على اعتقاد وجود الله تعالى وانفراده بالإلهية. ولما أشارت إلى السماء علم النبي ﷺ أنها تعظم الله تعالى، وتعتقد وحدانيته، وتنفر من آلهة الأرض التي كانوا يعبدونها) [(١)].

الحقيقة التي تكشف عن مذهب هؤلاء المتكلمين الأشعرية أنهم يقدمون عقولهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويزعمون أن نصوص الصفات ظاهرها باطل يدل على التشبيه والجسمية، وهي مصروفة عن ظاهرها بالحتم واللزوم فرارا من هذا التشبيه المزعوم، فهم يقولون في قول الجارية: إن الله في السماء، هو مصروف عن ظاهره.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل قول الجارية: في السماء ظاهره يدل على معنى باطل؟! لقد أراد هذا القائل أن يجعل الظاهر المتبادر من قول الجارية، هو أن الله ﷻ في داخل السماء، وأنها تحيط به، وحاشا للنبي ﷺ أن يقر هذا الظاهر، وأن يشهد للجارية بالإيمان لأنها تعتقده، فقد قال الله في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطٗا ۝١٢٦﴾ النساء:١٢٦. فكيف بالذي وسع كرسيه السماوات والأرض أن تحيط السماء به، ويكون في داخلها

---

(١) حق الله على العباد وحق العباد على الله لطه عبد الله عفيفي ص٩٨: ٩٩ .

كما قطع الخلف بأن هذا هو ظاهر النص المتبادر إلى الذهن؟!!

وإن تعجب فعجب قولهم: إنما اكتفى النبي ﷺ منها بقولها في السماء، لأنه كان يكفي في صدر البعثة بالنسبة للعامة وجود الله تعالى ووحدانيته، فعامل الجارية بما ألفته، وأقرها على اعتقاد وجود الله تعالى وانفراده بالإلهية، وهذا القول باطل لأنه من لوازمه أنهم جعلوا الاعتقاد على نوعين: اعتقاد العوام، وهو كاعتقاد الجارية أن الله ﷻ في السماء. واعتقاد الخواص، وهو أن الله ﷻ ليس في السماء على العكس من اعتقاد العامة، ولكن النبي ﷺ أخفاه مع كونه الحق وسكت عنه، ولم يوضحه للجارية حتى لا تفتن. ولا شك في بطلان ذلك.

ويلزم أيضا أنه في أوّل البعثة كان الاعتقاد مغايرا لنهايتها، وهذا كذب صريح، فإننا نجزم أن اعتقاد الناس ومنهجهم في الصدر الأول أفضل ممن جاء بعدهم كما هو معلوم في بابه، وقولهم هذا قول على الله بلا علم.

وقد حرم الله ذلك فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف:٣٣. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء:٣٦.

ثم ما هو الدليل على أنه كان يكفي في صدر البعثة اعتقاد وجود

الله ووحدانيته، وإن اعتقد المسلم في الله ما لا يجوز؟!

ويلزم من قولهم هذا أن أعلم الخلق بربه، وأنصحهم لأمته قد أخطأ عندما سأل الجارية أين الله؟ وأنه كان يجب أن يسألها بما لا يوهم باطلا، وهذا افتراء عظيم على الله ورسوله ﷺ.

ولازم قولهم أيضا أننا لا نعرف أين معبودنا؟ أهو في السماء أم في الأرض؟ ما دام أنه لا يسأل عنه بأين؟ وهذا هدم لنصوص القرآن ودفع لكلام الله ﷻ.

أما الجارية فكانت أعلم بدلالة الألفاظ على معانيها من علماء الكلام الأشعرية؛ لأنها تقصد العلو، ولا تقصد بوجه من الوجوه أن السماء تحيط به كما زعموا.

وهذا المعنى اجتمعت عليه أدلة النقل والعقل، فالنبي ﷺ في حجة الوداع في اليوم الأعظم في المكان الأعظم لما كان بالمجمع الأعظم قال لهم: (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لنْ تَضِلوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلونَ؟ قَالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَال بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلى النَّاسِ: اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ، ثلاث مَرَّاتٍ)[1].

وفي هذا بيان واضح بالمقصود من قول الجارية: إن الله في السماء

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ٢/٨٩٠ (١٢١٨.

أن المراد به العلو، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ الملك:١٦. كما أن التصريح بأنه تعالى في السماء عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين:

١- إما أن تكون في بمعنى على كما جاء في قوله تعالى عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ طه:٧١. أي على جزوع النخل وكقوله تعالى أيضا: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ التوبة:٢.

٢- وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره [1].

ومن ثم فإن مراد الجارية بقولها: في السماء هو علو الله تعالى على خلقه، وأن من قال: إن مرادها هو اعتقاد وحدانية الله تعالى وتعظيمه دون إثبات علو الذات كما قال هؤلاء المتكلمون، فهو مخطئ قد جانب الصواب.

واعلم أنه لو لم يكن مرادها علو الله على خلقه لما سألها النبي ﷺ بلفظ الأين، فلو كان المقصود اعتقاد وجود الله تعالى ووحدانيته لسألها بغير هذا السؤال، كأن قال لها: هل تعتقدين أن الله موجود؟ وأنه واحد لا شريك له؟! أو هل تعظمين الله تعالى؟! فعلم عند ذلك المراد بجوابها، وأن معنى في السماء العلو.

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٠ بتصرف.

والعجب أن بعض هؤلاء الأشاعرة يزعم أنه لا ضير في ألا يعرف الإنسان أين ربه؟ كما قال أحدهم: (وماذا يضيرنا لو قلنا: إننا نؤمن بالله، وبوجوده المتيقن المؤكد، وبهيمنته على الخلق، ولكننا لا ندري أين هو؟! وهل لو سألني سائل عن رئيس من الرؤساء أموجود هو؟ فقلت هو موجود، يأمر وينهي، ويصرف الأمور، فإذا سألني: وأين هو؟ فقلت: لا أدري، غير أني أؤمن أنه موجود، أيكون جوابي هذا حكما بعدم وجود الرئيس المسئول عنه؟ اللهم إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) [1].

وهذا كلام باطل، لأن لازمه رد النصوص الثابتة عن الله ورسوله ﷺ، وقد نهانا الله ﷻ عن ذلك، وحرمه علينا فقال:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ البقرة:٨٥.

فكيف نرد النصوص القرآنية والنبوية التي قطعت بأن الله على عرشه في السماء، يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، يدبر الأمر في مملكته، ما يكون من نجوي ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدني من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم.

أو كيف نرد الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في إثبات

---

(١) حق الله على العباد ص ١٠٥ .

العرش، وعلو الله ﷻ عليه وعلي جميع المخلوقات.

ومن لوازم قولهم هذا أن الله ﷻ كلم عباده بما لا فائدة فيه، ويكون القرآن والسنة مليئين بالحشو والألفاظ الغامضة، وهذا باطل لقوله تعالى: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ يوسف:٢/١. فكيف يزعمون مثل ذلك في كلام الله ورسوله ﷺ ويقول قائلهم: هذا لا يضيرنا في شئ؟!.

وقول هذا الأشعري: لو سألني سائل عن رئيس من رؤساء، أموجود هو؟ فقلت: هو موجود يأمر وينهي، فإن سألني أين هو فقلت: لا أدري، أيكون جوابي حكما بعدم وجود الرئيس المسئول عنه؟ يرد عليه بقياس الأولى فيقال: وماذا يضيرنا لو سألنا سائل عن رئيس من الرؤساء أين هو؟ فقلنا في مدينة كذا، هل نكون قد قلنا غير الحق؟ أم أجبنا بما يريح النفس، ويطمئن الفؤاد، ويكف طلبها، وذلك أفضل بكثير من قولك: لا أدري؟

ولله المثل الأعلى لو سألنا سائل عن الله كما سأل رسول الله ﷺ الجارية أين الله؟ فأجبنا بما أجابت به الجارية: أنه سبحانه في السماء استوى على العرش، هل نكون قد شبهنا الله ومثلناه بالمخلوق كما يعتقدون؟ أم الحق عندهم هو قولنا: لا ندري، ولو تعطل كلام رسول الله ﷺ عن مدلوله؟

ولو فرضنا بقياس الأولى أن شخصا ما أراد أن يقابل ذلك الرئيس

الذي لا يدري هذا الأشعري أين هو؟ وأخذ يسأل عنه في كل مكان، فكلما سأل عنه شخصا أجابه بقوله: لا أدري إلى أن انتهى كل الجنس البشرى وغير البشري على الأرض، ولم يجد شخصا واحدا يعلم أين هو؟! هل يكون الرئيس بذلك موجودا أم معدوما؟!

إن الله ﷻ وله المثل الأعلى، فطر الخلائق على أن يتوجهوا إلى السماء بالدعاء لأنه في السماء فوق عرشه، ولا غنى لأحد عن ربه، فهل بعد ذلك نحرم السؤال عن الله بأين؟ وطلب العلو مفطور في أعماق كل نفس .

وهل كون هذا الأشعري لا يدري أين الرئيس لعدم متابعته للأخبار المذاعة، أو المرئية، أو المقروءة لعدم سؤاله عنه يلزم منه عدم العلم لمن تابع الأخبار وعلم أن الرئيس في مدينة كذا؟ ولله المثل الأعلى لقد تابع أهل السنة كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، فوجدنا النبيﷺ شهد للجارية بالإيمان؛ لأنها قالت: إن الله في السماء. والنصوص التي تقدمت كافية شافية في بيان أنه سبحانه على العرش استوى، عال على خلقه إلى آخر ما يجب معرفته في توحيد بالأسماء والصفات.

ومن العجب أيضا أن هؤلاء المتكلمين يحتجون بكلام يروى عن يحي بن معاذ الرازي، ويجعلونه أفضل من قول رسول الله ﷺ، فقد قيل ليحي بن معاذ الرازي: أخبرنا عن الله تعالى. فقال: إنه واحد. فقيل: كيف هو؟ فقال: ملك قادر. فقيل: أين هو؟ فقال: بالمرصاد.

قال السائل: لم أسألك عن هذا؟ فقال: ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق، فأما صفته فما أخبرت عنه [(١)].

ويكفي لبيان بطلان مثل هذا الكلام أن نقارن بين قول النبي ﷺ للجارية أين الله؟ فقالت في السماء، وبين قول يحيي الرازي لما سئل عن الله ﷻ أين هو؟ فقال بالمرصاد. فهل يحي الرازي علم شيئا من صفات الله والرسول ﷺ لم يعلمها؟ أو أن رسول الله ﷺ أخطأ حين سأل الجارية أين الله؟ أو هل هو أعلم من رسول الله ﷺ؟ أو أن كلام الرسول في الله ﷻ يوهم التشبيه والتمثيل بالمخلوق، أما كلام يحي الرازي فهو الحق الذي لا تشوبه شائبة!

وتعجب أيضا حينما يذكرون من الكلام الباطل ما يدللون به على تقبيح القول بأن الله ﷻ في السماء، مثل قول بعض العلماء لتلميذ يمتحنه: لو قال لك أحد: أين معبودك؟ فأي شئ تقول؟ قال: كنت أقول: حيث لم يزل، قال: فإن قال لك: فأين كان في الأزل؟ فأي شئ تقول؟ قال: أقول: حيث هو الآن ولا مكان، فهو الآن على ما عليه كان. قال التلميذ: فارتضى الشيخ ذلك [(٢)].

ونلاحظ أن طريقة الجهمية والنفاة المعطلة من الأشعرية هي هذه بعينها، فلا يريدون أن يثبتوا لله استواء يليق بجلاله، ولا نزولا، ولا

---

(١) انظر السابق ص١٠٥، ومجموعة الرسائل للشيخ حسن البنا رحمه الله ص٢٩٧.

(٢) انظر السابق ص١٠٦.

مجيئا إلى غير ذلك من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة. وكأن رسول الله ﷺ لم يبلغ البلاغ المبين حين سأل الجارية أين الله؟ أو كأن هذا التلميذ أعلم بالله من رسول الله ﷺ؟ ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ البقرة:٣٢.

وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ الصافات:١٨٠/١٨٢.